إشكاليـــة الأدب النســـوي بين رفض وتأييد المُصْـطلـــح

أ. بسمة سليمان المبروك فكرون ـ كلية الآداب و العلوم الكفرة - جامعة بنغازي
bbasma84soliman@gmail.com

المُلخَّـــــص :

يهـــدف هذا البحثُ إلى دراسة مصطلح " الأدب النســـوي" ، وإشكالية تعـــدد مصطلحاته ، من خـــلال عرض مجموعة من الآراء المتضاربة الداعية لرفض التسمية أو لتأييدها.

الكلمات المفتاحية :

الأدب النسوي ، ماهية المصطلح ، إشكالية المصطلح، الرفض، التأييـــد.

Abstract:

This research aims to study feminist literature terminologies and multiple terminologies problem, by displaying a group of conflicting opinions advocating the rejection of naming or to support it.

Keywords: feminist literature, what is terminologies, terminologies problem, rejection, support.

المقدمـــــــــــــة:

الأدب النّســـوي (أدب نســـوي) ، الأنثـــوي ، النّسائي جميعها مصطلحات أُطلقت على النّصوص الإبداعيـــة في الأدب المرتبط " بطـــرح قضية المرأة والدفاع عن حقوقها دون أن يكون الكاتب امرأة بالضرورة".[1]

ويُعتبر الأدب النســـوي أحد الظواهـــر الأدبية الحديثة في الساحة الأدبية والنقدية ، فقد بدأت أهميته في الظهور خـــلال الربع الأخير من القرن التاســـع عشر في فرنسا ، واستعمل هذا المصطلح لأول مـــرّة في مؤتمر النساء العالمي الأول الذي انعقد بباريس سنه (1882م) على يد الفرنسية هوبرتين اوكلير.[2]

لقد أثار مصطلح النسوية على المستوى العالمي جدلية كبيرة في تحديد ماهيته ، وجـــرى الاتفاق على اعتبار أن النسوية هي : " إيمان بالمرأة وتأييد لحقوقها وسيادة نفوذها".[3]

وعلى الرغم من هذا الاتفاق ، فقد شكّل هـــذا المصطلح إشكالية واسعة في الوسط الأدبي ، ويأتي في السؤال الـــذي يتطـــرق إلى ذهن السامع والمتلقي ، هل الأدب

النســـوي هو تصنيف للمنتـــج من حيث الجنس : رجل أو امرأة : أم هو القضايا التي تتعلق بالمرأة؟

إنّ الكتابة النسويـــة عند بعضهم " ينبغي أن يكون لها جوهر محدّد تتمايز فيه بينها وبين كتابة الرجل في الوقت الذي يرفض فيه كثيرون احتمال وجـــود هذه الكتابة أصلاً".(4)

ويتميز أدب الرجل عن أدب المرأة باعتبار الاختلاف الجنسي ؛ لأن المرأة مختلفة بيولوجياً ونفسياً عن الرجل في عواطفها ومشاعرها وخيالاتها حتى في لغتها التي تعبر بها فـ "اللغة النسائية كمستوى من بين عدة مستويات هذا الطرح يجب أن نربطه بالنص الأدبي ، والنص بطبيعته متعدد المكونات رغم الوسط هناك تعدد .. وهناك كلام مرتبط بالذات المتلفظة ... فأنا من هذه الزاوية لا أستطيع أن اكتب بدل المرأة ، لا أستطيع أن أكتب عن أشياء لا أعيشها".(5)

والأدب النســـوي عند بعضهم هو كل ما يكتب عن المرأة وعن قضاياها ، وكل ما يتعلق بها ، وأشاروا على تسميته بالنص الأنثوي ، لذلك صنّف شعر نزار قباني ضمن الأدب النسوي.

ومما سبق نقول : الأدب النسوي إما أن يكون متعلقاً بالجنس ، فنقـــول عن كل ما تكتبه المرأة أدباً نسوياً ، أو أنه ما تعلقت مواضيعه بما يخص المرأة فقط دون غيرها.

إن صعوبة القبض على مفهوم محدد للكتابة يكمن في عدم فهم المصطلح ، وغياب فهم مرجعيته النظرية كما أوضحت ذلك زهور كرام ؛ إذ تقول: "فهو يأخذ إما طابع خصوصية الكتابة عند المرأة أو يأتي بهذه الصيغة ليثير مسألة كوضع خاص يمكن الانتباه إليه عبر واجهة الإبداع ، أو التركيز على كتابه المرأة لتسجيل موقف رد الفعل على التغيب الذي يطال إنتاجات المـــرأة في الدّراسات النقدية والأبحاث الأدبية".(6)

الدّراســـات السابقة :

وعلى الرغم من أن مصطلح "الأدب السنوي" حديث الابتكار في الساحة الأدبية والنقدية فقد تم تداوله تداولا كبيراً ؛ ذلك لأنه مصطلحاً مربكاً في غاية التعقيد والغموض مما جعله عند النقاد بين ثنائية الرفض والقبول.

لقد تناول كثير من الباحثين دراسة مصطلح الأدب النسوي وإشكالياته ، ومن الدراسات السابقة له والتي أحاطت بالموضوع ، نجد على سبيل المثال لا الحصر " ـ الأدب النسائـــي بين سؤال الوجود وإشكالية المصطلح " للدكتورة الكاتبة الجزائرية (ريمة لحواس)، حيث قالت فيه إن هذا الأدب عرف فوضى مصطلحية كبيرة في النقد

النسوي، وأرجعت فيه السبب إلى عدم تشريح المصطلحات ، والعودة بها إلى منابتها الحقيقية وإلى المراحل التي مرت بها هذه الكتابة في بيئتها الغربية .
ـ الأدب النســـوي بين الرفض والتأييد وبداياته في الوطن العربي " للدكتورة الباحثة (سوسن ابرادشه)، و درست فيه ماهية مصطلح الأدب النسوي وأهم بداياته ....، وتوصلت فيه إلى أن الكتابة النسوية تطورت تطوراً كبيراً من السطحية إلى التعمق ومن الأسلوب المباشر إلى لغة شاعرية لم تعرف من قبل .
ـ إشكالية الأدب النسوي بين المصطلح واللغة"، للناقدة والباحثة الجزائرية أحلام معمري ، الذي استخلصت فيه دراستها بظهور نوعاً من اللبس والتذبذب ، طبع المقاربات النقدية التي ذكرتها بخصوص الأدب النسائي، وأكّدت فيه على وجود واقع لم يصل النقد العربي بعد إلى إدراكه.
ـ ومن الدراسات السابقة ـ أيضًا ـ ، نجد دراسة للكاتبة السورية جميلة محمد "مصطلح الأدب النسوي .. الإشكالية التي لم يفصل فيها ". استخلصت فيها الرأي الذى ركن إليه معظم من قاموا بدراسة المصطلح على الرغم من تداوله، لكنه ما زال غير واضح المعالم ويشكل موضوعاً متداخلاً إلى حد ما ، يرجع سببه إلى خصوصية الأدب النســـوي نفسه.
إن مصطلح النسوية حديث الابتكار كما قلنا آنفاً لا يزال يتأرجح بين الرفض والقبول وقد تعددت مواقف النقاد و الأدباء حول وجود هذا المصطلح "أدب نسوي"، حيث أيدته مجموعة ورفضته مجموعة من كلا الطرفين الرجل والمرأة ، ولذلك أردتُ أن أفصّل في الحديث وأُبين آراء الموقفين كلا على حدة.

(1) الموقف الرافض للمصطلـــــح

نجد من الأدبـــاء من يرفض مصطلح "الأدب النســـوي" ؛ لأنه لا يملك أيّة خصوصية تميزه عن الأدب الرجالي ، ؛ إذ هو شكل أدبي واحد بصرف النظر عن نوع مبدعه ، لا يعرف التذكير والتأنيث ، إذ هي مسميات لم تتبلور بعد ولم يتضح منهجها أو تستقل بذاتها ، وإنما هي مسميات ـ كما هي العادة – تطالعنا بها الثقافات الحديثة من آن إلى آن آخـــر ، وإذا كان من شيمة العلم عدم التحيز والعنصرية ، فهنا يتقشع الخلط وتتفتح الرؤية"،[7] عبد العاطي كيوان يرفض هذا التصنيف ؛ لأن من وجهه نظره هو تصنيف عنصـــري جاء نتيجة عملية المثاقفة لا غير. ومن ناحية أخرى نجد الأدبية الروائية السورية : كولييت الخـــوري تقـــول " برأيي الشّـــخصي هناك أدب ولا أدب ، و لا يوجد بالتالي أدب نسائي أو رجالي ... كل هذه التصنيفات كالقول بوجود آدب زنوج و أدب أطفال و أدب برجوازيين وأدب كادحين و أدب عربي

وغيره ... ليس لها مبرر بالرغم من أن هذه التصنيفات لا تجد اعتراضاً كما هو الحال بالنسبة للأدب النسوي.[8]

كما يرفض (بوشوشه بن جمعة) التمييز بين الأدب النسائي والأدب الرجالى "على أساس الجنس مرفوض من قبل جلّ من كتب في الموضوع، فلا معنى لقولنا أن هذه الراوية أو تلك نسائية لمجرد أن مؤلفتها امرأة؛ إذ ليس من المناسب أن نصنف الأدب على أساس الذكورة والأنوثة إلا إذا اقتنعنا بوجود ما يبرز إفراد الأدب النسائي بالنظر والدرس.[9]

وضمن الموقف الرافض نفسه، نجد الكاتب الجزائرية (أحلام مستغانمي) لا تؤمن بالأدب النسائي وتقول في هذا: "أنا لا أؤمن بالأدب النسائي وعندما أقرأ كتاباً لا اسأل نفسي بالدرجة الأولى هل الذى كتبه رجل أو امـــرأة".[10]

أما (لطفية الزيات) نجدها ترفض المصطلح على أساس الهوية الجنسية، ورفضت إدخال كتاباتها الإبداعية تحت مسمى الأدب النسوي وذلك اعتقادا منها أن هذا الوصف "يتضمن تحقيراً لهذا الأدب وتهويناً من أهميته لأنه يرمي بمحدودية الموضوعات التي يعرض لها.[11]

وفي الشـــأن ذاته نجد القاضية الليبية (لطفية القبائلي) "لا توافق على التقسيم الذى يفصل الأدب إلى أدب نسائي و آخر رجالي".[12] ، كما ترفض الكاتبة والأديبة السورية (غادة السمان) هذا التصنيف الأدبي وتتساءل" "لماذا تم اعتبار كل ما هو نسائي غير إنساني؟، لماذا هناك هواجس نسائية، أما الهواجس الرجالية فتقل جانية فتقلب إنسانية رحبة؟[13] ، ونجد الناقدة والاديبة اللبنانية (يمنى العيد) ترفض تصنيف الأدب إلى أدب بوصفه مفهوماً عاماً، وأدب نسائي بوصفه مفهوماً خاصاً، فهي لا تقرر إلا بوجود "نتاج ثوري يلغي مقولة التمييز بين الأدب النسائي والأدب، كما يلغي مقولة الخصوصية النسائية كطبيعة تعيق مساهمتها في ميادين الإنتاج الاجتماعي والتي منها الأدب".[14]

أما الناقدة (خالدة سعيد) ترفض تسمية الأدب النسائي معللة ذلك في صيغة تساؤل "أليس تغليب الهوية الجنسية (رجولية أو نسائية) على العمل الإبداعي تغييباً للإنساني العام والثقافي القومي من جهة، والتجربة الشخصية والوعي بها من جهة ثانية وللخصوصية الفنية والمستوى الفني من جهة ثالثة".[15]، وكذلك نجد الأدبية المغربية (خناثة بنونة) ترفض التعامل مع تعبير الكتابة النسائية لأنه يؤدي إلى التصنيف داخل الإنتاج الأدبي.[16]

إن المواقف الرافضة لهذا المصطلح هي مواقف للرجل الناقد والأديب وللمرأة المبدعة ناقدة كانت أم أديبة، يرفضون ذلك من منطلق أن الأدب واحد ، لدى الإنسان

مؤنثاً كان أم مذكراً ، وعلى جميع الأدباء والنقاد النظر في مصطلح الأدب النسوي من زاوية الإبداع التي تميز خصوصية المرأة، وتناول الكتابة النسوية من الداخل، وليس في مقاربة هذا المصطلح النقدي على الظاهر.

(2) الموقف المؤيد للمصطلح:

يستقطب موضـــوع الكتابة النسائية عناية الكثير من النقاد والأدباء والباحثين، حيث احتفوا بها ودافعوا عنها واعتبروها مصدر اعتزاز لها، لا يجب أن يقابل بالرفض أبداً بل يجب "توظيفه في الثقافة والأدب العربيين ، ولكن من دون وعي نظري ومنهجي واضح و محدد".[17]

تقول الناقدة البحرينية الإماراتية (حمدة خميس): "إن أدب المرأة ينبغي أن يكون مصدر اعتزاز للمرأة و المجتمع والنقاد، فمفهوم الأدب النسائي يضيف للأدب نكهة مغايرة ولغة وليدة، كما أنه خطاب نهوض و تنوير".[18] ، وأما الكاتب السوري جورج طرابيشي "يرى السرد النسوي متميز بكونه شحنات عاطفية مليئة بالأحاسيس ويفرق بينها وبين سرد الرجل الذي يكتب لكى يعيد بناء العالم، فيكتب بعقله ، أما المرأة تكتب بقلبها.[19]

والحقيقة ما يكتب بالأحاسيس يلامس المشاعـــر، أما ما يلبس بكثير من المنطق والعقلانية فهو أقرب إلى الأدب الإصلاحي ، وأبعد عن الكتابة الفنية.

ويستنكر الناقد الجزائري يوسف وغليسي رفض المرأة الكاتبة لهذا المصطلح فيقول: "مصطلح الأدب النسوي في أسوأ استعمالاته يطلق على النص المكتوب من قبل المرأة، فلماذا ترفض المرأة مثل هذا الإجراء النقدي التصنيفي؟".[20]، وتعتبر نازك الأعرجي رفض بعض الكاتبات للمصطلح نابع من خوفهن من الرجل فهي تقول: "ترفض المرأة إذن المصطلح والتسمية ، لكي تبقى في النادي الأدبي الذي هو رجولي بالضرورة لكى تتمتع برضا المجتمع الرجولي عن سلوكها المنضبط ... ، وكل امرأة رافضة هي امرأة مهادنة ومستكينة للرجل".[21] ، ويستغرب الشاعر والمترجم السوري (ميخائيل عيد) بدوره ممن يرفضون مصطلح الأدب النسائي ، ويتساءل "من يستطيع أن ينكر أن هناك فروقاً في هذا الأدب ... وما الضير في أن يلتقي الأدب النسائي في العموميات مع أدب الرجال و يختلف عنه من حيث بعض الخصوصيات التي تختص بها النساء دون الرجال؟ القضايا الاجتماعية وهموم الناس في كل عصر مشتركة ، لكنها لا تلغي الخصوصية الفردية، وسيخسر الأدب النسائي كثير من جماله إذا لم يتمايز بكونه أدباً أنثوياً.[22]

وممن أيدن المصطلح ووافقن عليه الكاتبة الجزائرية ربيعة الجلطـــي ، حينما حاولت ترســـيخ التفوق للمرأة ، تقول: "لم يعد يعجبني ما يملأ الرفوف ، لم يعد يطفئ عطشي وفضولي ورغبتي في البحث الدائم عن الجمال والتجاوز فيما يكتب ، وكم عانيت من تهميش الكوكبة التي كانت تكتب تحت أعلام أيدلوجية رفرافة".[23] وأحياناً نجد تناقضاً واضحاً في آراء بعض النقاد المؤيدين الرافضين للمصطلح ، فـ (بثينة شعبان) مثلاً، نجدها تصف العمل الروائي النســـوي بأنه : "يعبر عن مدى وعـــي المرأة لأبعاد العلاقات الاجتماعية وجذورها، والمغزى البعيد للحدث السياسي ونتائجه الممكنة ...، يحق للكاتبات أن يفخرن بها بدلاً من أن يخشينها ويتجنبها".[24]

ومن خلال ما سبق، تعددت المواقف، تجاه هذا المصطلح، وبين هذا وذاك هناك موقف وسطي مثله عصام خلف كامل، الذي يتوكد على أنه " لا فواصل ولا حدود واضحة بين الأدب الذي تعبر عنه المرأة، والأدب الذى يعبر عنه الرجل، إلا أن هذا النتاج يحمل خصوصية تعبر عن سمات خالقه".[25]

وتـرى الباحثـــة : أن الكتابة كتابة والابداع إبداع ، فلا توجد كتابة تصنف على أساس الجنس : الرجل والمرأة ، فكلاهما يكتبان ويعبران عما يحسانه ، وكلاهما متساويان في الحقـــوق التي منحها الله لهما ، والتمايز بينهما يجب أن يتم علميا لا تمييزا مبنيا على أسس جنسية ، وأختم كلامي بقول أحمد شوقـــي :

إذا النساء نشأن في أميـــــة رضع الرجال جهالة وخمولاً

الخاتمة:

بناءً على ما سلف ذكـــره يمكن القول أن مصطلح الأدب النسوي واجه جدلاً واسعاً، وإشكالية كبيرة في الأوساط النقدية والأدبية، تكمن أسبابها في عدم فهم محتواه، وغياب فهم مرجعيته النظرية، فمصطلح "نسائي أو نسوي" لا يزال مصطلح مربكاً في غاية التعقيد والغموض مما جعله. عند النقاد بين ثنائية الرفض والقبول.

ورغم تعارض الآراء وتعددها ، إلا أن هناك حقيقة لا يمكن تجاوزها هي الحضور القوي لهذا الابداع الذي فرض نفسه في الساحة الثقافية الادبية ، بفعل اجتهاد المرأة في مجال الكتابة .

الهوامـــــــــش :

1- نزيه أبو نضال: تمرد الأنثى في الأبداع النسوي العربي/ ملخص أبحاث مؤتمر المرأة العربية والأبداع، المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، 26-30 أكتوبر 2002 م، ص 276.

2- ينظر، ريان فوت: النسوية والمواطنية، ترجمة أيمن بكر و سمر الشيشكي، مراجعة وتقديم: فريد النقاش، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، مصر، ط 1، 2004م، ص 29.

3- نعيمة هدى المدغري: النقد النسوي/ حوار المساواة في الفكر والأدب، منشورات فكر دراسات وأبحاث، الرباط، المغرب، ط 1 2009م، ص 18
4- ينظر محمد برادة: المرأة العربية والإبداع المكتوب/ ملخص أبحاث مؤتمر المرأة العربية، المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، 26-30 أكتوبر، 2002 م، ص 225
5- محمد برادة: هل هناك لغة نسائية، مجلة آفاق، المغرب، العدد 12 ، أكتوبر، 1983 م، ص 135.
6- زهور كرام: السرد النسائي العربي / مقاربة في المفهوم والخطاب، الدار البيضاء، المغرب، شركة النشر والتوزيع، المدارس، 2004 م ص 66.
7- عبد العاطي كيوان: أدب الجسد بين الفن والإسفاف / دراسة في السرد النسائي، مركز الحضارة العربية بالقاهرة، ط 1، 2003، ص 13.
8- رفيف صيداوي: الكتابة وخطاب الذات / حوارات مع روائيات عربيات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 1، 2005، ص 57.
9- بوشوشة بن جمعة: الرواية النسائية المغاربية، أسئلة الابداع وملامح الخصوصية، الرواية العربية النسائية، الملتقى الثالث للمبدعات العربيات ، دار الكتابات مهرجان بوشوشة الدولي ،تونس،ط1،1999،ص:93.
10- القدس العربي، السنة الرابعة، العدد 1076، نقلاً عن زهور كرام، مرجع سابق، ص 94
11- لطفية الزيات: شهادة مبدعة، مجلة أدب ونقد، العدد 130، نوفمبر 1996، ص:18.
12- ينظر، لطفيه القبائلي: نقلاً عن مجلة تايكي الثقافية/ مجلة تعنى بقضايا المرأة، نقلاً عن زهور كرام، مرجع سابق، ص: 94.
13- غادة السمان: الأعماق المحتلة / منشورات غادة السمان، بيروت، 1993م، ص: 22.
14- يمنى العيد، مساهمة المرأة في الإنتاج الأدبي، مجلة الطريق، نيسان، 1975 م، ص: 144.
15- خالدة سعيد: المرأة، التحرر، الإبداع، دار الفنك، الدار البيضاء، 1991م، ص: 16.
16- ينظر زهور كرام، السرد النسائي العربي، ص: 94.
17- مفيد نجم، الأدب النسوي وإشكالية المصطلح، مجلة علامات في النقد، المجلد 15، الجزء 57، سبتمبر، 2005 م، ص: 160-161.
18- ينظر، حمدة خميس: في مفهوم الأدب النسائي، جريدة الجزيرة، العدد 8893 - الصادر 2-2-1997م، ص: 264-265.
19- ينظر عبد الحميد ختاله، السرد النسائي في الجزائر/ قراءة في أدب السعودية، مجله المعنى، المركز الجامعي، خنشلة العدد 1، جوان، 2008م، ص 136.
20- يوسف وغليسي: دراسة في الشعر النسوي الجزائري و معجم لأعلامه / خطاب التأنيث، وزارة الثقافة، قسنطينة، الجزائر، 2008 م، ص: 26.
21- نزيه أبو نضال: حدائق الأنثى، نقلاً عن سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية / الوجود والحدود، رؤية للنشر و التوزيع: القاهرة، ط 1، 2010 م، ص 281.
22- ميخائيل عيد: ثلاث روائيات وثلاث روايات/ الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، 1 يونيو، 1999م، ص 124
23- ربيعة جلطي: كتبت رواية الذروة لأني لم أعد أجد ما يعجبني على الرفوف العربية / حوار مع جريدة النصر، قسنطينة، الجزائر، 27-9-2010م.
24- بثينة شعبان: الرواية النسائية العربية، مجله موقف، ص: 232-233، نقلاً عن حسين المناصرة: المرأة وعلاقتها بالآخر، ص 265.
25- ينظر، عصام خلف كامل: إبداع المرأة العربية رؤية سوسيولوجية، دار فرحة للنشر و التوزيع، 2005 م، ص: 27.